

رسالة الصوم



«عندما نتطلَّع إلى المعاني والآفاق التي يفتح عليها هذا الشهر المبارك، فإنَّنا نلتقي بالجانب الروحي الذي يفيض على عقل الإنسان، ليكون العقل مسؤولاً أمام الله في أن يؤكد الحقيقة في كلِّ حركته الفكرية التي تؤمِّل إنسانية الإنسان، وتجعله يتحسُّس روحيته في عالم الروح، ومسؤوليته في عالم المسؤولية، وإنسانيته في كلِّ ما يغني الإنسانية في كلِّ تطلُّعاتها وأوضاعها وانفتاحها على الإنسان كلِّه في عملية تواصل وتكامل وتعاون.

وهكذا يفتح هذا الشهر على القلب لينبض بالمحبَّة التي تعيش لتتطلَّع إلى الكون كلِّه، في إنسانيته وحركته وكلِّ ظواهره، بالمحبَّة، باعتبار هذه الروح التي توحى للإنسان بأنَّه جزء من هذا الكون يغتني به ويغنيه من خلال حركته الفكرية في ما يخطط للكون، بحيث يؤنسن الكثير من حالات الكون، كما يستفيد منه ويتعلَّم كيف ينتج الخصب والرخاء من خلال الينابيع المتفجِّرة المتدفِّقة، أو كيف يزرع الأرض من خلال هذا المطر الهاطل من السَّماء، أو من خلال النُّور الذي يفيض من إشراقة الشَّمس ليعطي الحياة رخاءً.

أن تكون المحبَّة نتاج كلِّ قلبٍ يفتح على القلب الآخر، وأن تكون الرحمة التي هي ابنة المحبَّة، من أجل أن تسمح على رأس اليتيم هنا، وتضمِّد جراح الجريح هناك، وتمسح دموع الحزين، وتغرس في كلِّ قلب المعنى الذي يستشعر فيه بالمحبَّة والسلام.

وهكذا نستوحي من شهر رمضان كيف يعيش الإنسان ليحلِّق في مواقع القرب من الله ليعيش معه، ليستمدَّ منه القوَّة والعزَّة والانفتاح على كلِّ المعاني القيمة الروحية.

إنَّنا نقرأ في شهر رمضان بعد كلِّ صلاة، دعاءً يوحى بأنَّ على الإنسان أن يتطلَّع إلى كلِّ الذين يعانون من الآلام ومن المآسي، ليشاركهم ذلك، وليرفع دعاءه إلى الله بأن يفرج عنهم، تماماً كما لو كان يدعو لنفسه: «اللهم أدخل على أهل القبور السُّرور، اللهم أغنِ كلَّ فقير، اللهم اقض دين كلِّ

مدین، اللّٰهمّ فرّج عن کلّ مکروب، اللّٰهمّ ردّ کلّ غریب، اللّٰهمّ فکّ کلّ أسیر، اللّٰهمّ أصلح کلّ فاسد من أمور المسلمین، اللّٰهمّ اشفّ کلّ مریض، اللّٰهمّ سدّ فقرنا بغناک، اللّٰهمّ غیر سوء حالنا بحسن حالک، اللّٰهمّ اقض عنّا الدّین وأغننا من الفقر إنّک علی کلّ شیء قدير.

وهكذا ننتقل في شهر رمضان، لنشعر بأنّه شهر الصيام الذي يجعل الإنسان يتصلّب في إرادته، عندما يواجه كلّ السلبیّات التي ربما تجتذبه ليؤكّد ابتعاده عنها، وليواجه الإيجابیّات التي يُراد له أن يأخذ بها لينفتح علیها، ثم هو شهر القيام الذي يقف فيه الإنسان بين يدي ربّه في الليل والنهار، لينفتح علی ربّه، وليسمو بروحه إلى الله، لأنّ الصلاة هي معراج روح المؤمن إلى الله، حيث يلتقي المخلوق بالخالق ليستمدّ منه كلّ ما يغني عقله وروحه وفكره، وليتضرّع إليه في أن يهديه إلى الصّراط المستقیم، ولأن يسير به نحو الدّرجات الرفیعة للرّضوان، حيث يلتقي به بعد أن يفارق الحياة ليعيش في رحمته ولطفه وجوده وكرمه.

ثم هو شهر الرحمة التي يعيشها الإنسان في نفسه، لتنتفتح علی كلّ الناس الذين لا بدّ للإنسان من أن يرحمهم في كلّ نقاط الضعف التي يعيشونها، وهو شهر التحرّر من كلّ العبودیّات التي يخضع لها الإنسان.

وهو في الوقت نفسه في تاريخه شهر الجهاد، لأنّنا نلتقي في شهر رمضان بحرب بدر وبفتح مكّة، وقد كانت أولهما مفتاح القوّة للإسلام، وكانت الثانية مفتاح الفتح للإسلام.

لابدّ للمسلمین الذين يصومون في هذا الشهر ويتوجّدون فيه، ويصلون إلى الكعبة المشرّفة، وينفتحون علی كلّ عباداتهم بالدعاء والابتهال وقراءة القرآن، أن يشعروا بالوحدة الإسلامية التي تجمعهم علی هذه القواعد التي لا يختلف فيها مسلم عن مسلم، لتكون الوحدة في ما اتفقوا عليه وسيلةً من وسائل تجربة السير نحو الوحدة في ما اختلفوا فيه، وعلى المسلمین أن يعرفوا أن وحدتهم هي سرّ قوتهم، وأنّ عليهم أن يعتصموا بحبل الله جميعاً، وأن يشعروا شعور الأمّة الواحدة التي يُراد لها أن تقود العالم فكريّاً وروحيّاً وعمليّاً.

إنّ شهر رمضان هو شهر الوعي واليقظة والإرادة والأخذ بأسباب القوّة، وعلينا أن نرتفع إلى مستواه، بعيداً من الجوانب التقليديّة التي تجعله مجرد شهر نترك فيه طعامنا وشرابنا في وقتٍ من الزّمن، فننسى في إفتارنا كلّ الفقراء والمساكين الذين لا يجدون ما يأكلون وما يشربون وما يغتنون به في حياتهم. ▶